

مختار في حدائق العرب

نشر في هذا الباب صفحات مطوية لمشاهير الكتاب الغابرين . لأن في كتبهم ومخطوطاتهم التي نسجت عليها عناكب الأيام كنوزاً نحن في أشد الحاجة إليها . وهانحن نورد اليوم ملخص فصل كتبه فارس الشدياق منذ ٥٥ سنة عن الالتاب والمغالاة في الكتابة . وقلنا قرأنا كاتباً عربياً فيه ملكة الملاحظة - التي يفاخر بها الأفرنج ويقولون انها سرُّ الإجابة في الإنشاء - أقوى مما هي في الشدياق ولا تتعرض لمبادي الرجل واطواره بل نورد شيئاً من قلمه لبيان أسلوبه الكتابي . وهو مأخوذ من كتابه « الساق على الساق » المطبوع في باريس على نفقة المرحوم رافائيل كحلا الدمشقي

وصل « الفاريق » - وهو اسمٌ مستعار لنفس المؤلف - الى مصر فهداه احد الظرفاء الى شاعر مصري له وجهة ونباهة عند جميع الاعيان . وهنا نترك الكلام للمؤلف :

الالتاب والمغالاة

(قال الظريف) نصحي لك ان تكتب كتاباً الى هذا الغلامه وتلمس منه فيما تطري به عليه مواجهته . واذا تكرم بذلك فاذا ذكر له حينئذ ما أنت تعابنه واستنجد به . فلا بد من ان يجيبك ، فانه رجل متصف بمكارم الاخلاق ويحب دغدغة الافتخار . ولا سيما انه يرغب في مجالسة ذوي الادب وتيسير اسباب معيشتهم . فتطفل اليه في المقال ، وانا ضامن لك ان تفوز منه بالآمال . فشكره الفاريق على نصيحته ورجع الى محله راضياً مستبشراً . فلما جن الليل أخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه :

أهدي سلاماً لو حملة النسيم لعطر الافاق ، ولو جعل للبدر هالة
لما اعتراه المحاق ، ولو مزجت به الصهباء لما اعقب شربها صداعاً ، ولو استغف
مريض اولعقه لما لقي برحاء وأوجاعاً ، ولو علق على شجرة لزهت في
الحال اوراقها ولو في الخريف ، ولو سقيه الروض لانبث من كل زهر
بهبج طريف ، ولو جعل على أوتار عود لا طربت دون عازف ، ولو تغنى
به في مجلس لأغنى عن المشموم والمعازف ، ولو علق في الآذان لكاف
شوقاً ، ولو صقل به سيف كليل لجاء رهيفاً ، ولو مثل لكان حدائق
ورياضاً ، وسلسبيلاً ومحاضاً ، ولو نيط بالعمائم لاغنى عن التمام ، ولو تحتم
به ولهان لاجزاه مجزأ السلوان ، ولو كتب على رجام لألهى الثاكل عن
النواح ، او على خصر هيفاء لقام لها مقام الوشاح ، او على انف مزكوم لما
أحوجه الى السموط ، او على ساق أعرج لكان له من قفزه سبق وفروط ،
او على لسان ابكم لانتحلت عقده ، او على كف بنخيل لهان عليه في البذل
ذهب وفضته . . . وتحيات فاخرة ، ذكية عاطرة ، أرق من النسيم ، وأشهى
من العافية على قلب السقيم ، واجلى للعين من الأتمد ، واغلى للناقد من
العسجد ، وأصفي من الماء الزلال ، واعلق بالقلب من امل الوصال . . .
وازهر من نور الصباح ، وازهى من نور الاقحاح ، واثن من الجوهر النفيس ،
واعز عند البستي من التجنيس ، وعند ابي العتاهية من الزهديات ، وعند
ابي نواس من الخريات ، وعند الفرزدق من الفخریات ، وعند جرير من
الغزليات ، وعند ابي تمام من الحكم ، وعند المتنبي من جزل الكلم .
تهدي الى الجناب المكرم ، المقام المحترم ، ملاذ الملهوفين ، مستغاث

المضيمين ، منهل القاصدين ، مورد الطالبين ... الخ

﴿ ثم ذكر حاجته اليه ﴾ ... قال الفارياب :

فأما بلغت الرسالة الى المذكور وطالع ما في شرح السلام من التشايبه المكافه ، لم يتمالك ان ضحك منها ووقفه ، وقال لبعض جلسائه ممن ألم بالادب : سبحان الله قد رايت أكثر الكتاب تهوسون في اهداء السلام والتحيات الى المخاطب كأنما هم مهدون اليه عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمان . فترام يشبهونه بما ليس يشبهه ، ويفرقونه في الاغراق ، ويغلوونه في الغلو ، حتى يأتي مبلولاً محروقاً ... وما ادري ما الذي حسن لارباب فن الانشاء ان يضيعوا وقتهم بهذه الاستعارات والتشبيهات المتبدلة ، وينظم الفقر المتماثلة في المعنى . مع ان العالم يتأتى له ان يبدي علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ بليغة المعنى . وهذه ألف ومئتا سنة قد مضت وما زلنا نرى زيدا يلوك ما لفظه عمرو ، وعمراً يمضغ ما قاله زيد . وقد سرى هذا الداء في جميع الكتاب

(ثم استورد الكاتب بمد كلام بمعنى ما تقدم الى ذكر الالقاب بطريقة التهكمية المعتادة قال :)

« حدث اللقب عند المشرقين أنه هنة ناتية ، اوزنمة او علاوة زائدة متدللة تناط بكونية الانسان ، وعليه قول صاحب الفاء وس العلاق الالقاب لانها تعلق على الناس . وعند المغربيين اي عند الافرنج انه جليدة تكور في الجسم . وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة ، وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقابها . فاما الجليدة فلا

يمكن فصلها عن الجسم إلا بإيصال الضرر الى صاحبه . وحاشية ذلك ، إذ الشرح لا بد له من حاشية ، ان الزئمة عند اهل الشرق غير موروثه ، والجليدة عند الافرنج متوارثة ككباراً عن صاغر . مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندي والاغا بل الملك انما هو محصور في ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده ، فقد يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتباً اونوتياً . اما عند الافرنج فلا يصح ان يُقال لابن المركب إلا مركب

واصل الزئمة والجليدة في الغالب أكل يحدث في ذوي الامر والنهي ، لهيجان الدم عليهم . فلا يمكن تسكين هذا الهيجان وحك ذلك الاكال إلا بإحداث الهنة او الجليدة . والفرض من كل ذلك انفراد شخص عن غيره بصفة ما

. . . . واعلم ان الخواجا والمعلم والشيخ ليست ألقاباً معدودة في الهنات ولا في الجايدات وانما هي خرقه تستر عورة الاسم الذي أطلق على المسمى ، وهي غير مخيطة فيه ولا مكفوفة ، ولا مسرجة ولا ملفوفة . بل هي كالبطاقة شئت الى لابسها ليعرف بها سعره . إلا انه كثيراً ما يقع الغلط في الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة

فارسى السربان

